جمالية المكان الفني (مقاربة نظرية)

أ.د.حسين بوحسون،جامعة طاهري محمد بشار

الملخص:

للمكان حضور فاعل في حياة الإنسان،ليس باعتباره مكانا هندسياً صرفا كالبيت و العمارة... ولكن

باعتباره منكًا هندسياً مجرداً أو بعداً هندسياً ذهنياً:فالمكان جملة من العلاقات الإنسانية و الاجتماعية والنفسية والاقتصادية يحمله الإنسان في وجدانه ذكرى سارة أم غير سارة منذ ولادته طفلا وكهلا ،وحياة وعدما، حضورا وغيابا، وجودا واغترابا، إنه ببساطة الإنسان في صيرورته الزمنية وتقلباته المعيشية. فالمكان يعني الماضي البعيد و القريب، ويعني الحاضر والمستقبل، ويعني الذكريات الجميلة وغير الجميلة، إنه المكان كما يحلم به الإنسان ، مكان فني ينسجه خياله من اللغة ليكون ملاذه الآمن يؤثثه بأحلامه و آماله و مشاعره ورغباته فضلا عن أشيائه المادية التي يستوعبها المكان لتتحول إلى مشهد تتكامل عناصره وتتناغم في سنفونية الوجود الإنساني .

Abstract:

Place has an active presence in human life, not as a purely physical space like a house and building, but as a geometrical abstraction or a mental dimension. Place refers to a number of humane, social, psychological and economic relations that man holds in his conscience, a pleasant or unpleasant memory from his birth to adulthood, as a living being or a nonentity, a presence and an absence, an existence and an alienation, it is simply the human being becoming a temporal variability of living.

Place means the distant and the near past, and means the present and the future; it also means pleasurable and disagreeable memories. It is the place as dreamed of by humans, an imaginary and artistic language-woven place that serves a safe haven furnished with his dreams and hopes, feelings

and desires as well as his physical things, which the place absorbs to turn into a scene of whose integrated elements chime in a symphony of human existence.

إن فلسفة المكان لدى الإنسان ورؤيته الوجودية إليه تتجاوز التحديد المادي له بوصفه إطارا مكانيا نحتمي به، ونعيش فيه ،وتنتج على أديمه معطيات معاشنا التي تضمن لنا البقاء و الاستمرار؛ بحيث يستحيل المكان إلى سجل تاريخي أو ذاكر تاريخية تعنى بالوقائع و الأحداث وتسجيلاتهما،ولكن فلسفة المكان أشمل من ذلك و أبعد، فهي رصد للحظات الهاربة من الذاكرة و المتدفقة في مسارب الحلم، لا القابعة في أقبية التاريخ ،و المتلبسة بظمأ الرغبة و جنون الاشتهاء لا المتكلسة في يوميات الواقع الباهتة ، لحظات تغدو فضاء يمارس فيها الإنسان بلا قيود أحلى لحظات الحلم و أعذبها وألذها ،ذلك "أن وظيفة الشعر الكبرى هي أن يجعلنا نستعيد مواقف أحلامنا،فالبيت الذي ولدنا فيه هو أكثر من مجرد تجسيد لمأوى،هو تجسيد للأحلام كذلك".[1] ذلك أن المكان هو الحلم والذاكرة بل والواقع متلبسا بهما معا وبالتالي فالمكان هو بعض منا ،إن لم يكن كلنا أعني كياننا الوجداني والشعوري والروحي ، فهو متلبس بمشاعرنا مرتو بدموعنا متلون بأفراحنا وأحزاننا.فالمكان هو أنا وأنت بمتاعنا وأشيائنا وحاجاتنا،مهما ضؤلت أو عظمت،صغرت أو كبرت،فالمكان بالتالي هو الإنسان في جميع أبعاده .

- المكان بين الفن و الواقع:

للمكان حضور فاعل في حياة الإنسان،ليس باعتباره مكاناً هندسياً كالبيت و العمارة... ولكن باعتباره مكاناً هندسياً مجرداً أو بعداً هندسياً ذهنياً:فالمكان(كذلك لا يقتصر على كونه أبعاداً هندسية وحجوماً،ولكنه فضلا عن ذلك، نظام من العلاقات المجردة يستخرج من الأشياء المادية الملموسة بقدر ما يستمد من التجريد الذهني أو الجهد الذهني المجرد) [2] وإذا

كان المكان الهندسي الصرف يتشكل من الواقع وعناصره و مواده المادية،فإن المكان الفني يستمد مواد تشكيله من واقع خيالي مجرد وذهني،واقع ينسج خيوطه الخيال(الذي يشكل المكان بواسطة اللغة على نحو يتجاوز قشرة الواقع إلى ما قد يتناقض مع هذا الواقع ،غير أنه يظل على الرغم من ذلك واقعاً محتملاً ،إذ إن جزئياته تكون حقيقية،ولكنها تدخل في سياق حلمي يتخذ أشكالاً لا حصر لها، يصل إليها الخيال فيما يمكن أن يسمى جماليات اللغة أو جماليات الخيال).[3]

و ما يمكن الوقوف عليه،هنا، أن علاقة الإنسان بالمكان لا تتحدد بالعلاقة المباشرة ،من حيث إن المكان ليس إلا بعداً هندسياً لا يمثل شيئاً ذا بال بالنسبة للإنسان،و إنما تتحدد العلاقة بينهما فيما يقع بينهما من تأثير وتأثر متبادلين،فإذا المكان يغدو بعضاً من الذات ،وإذا الذات تغدو بعضاً من المكان، بل يغدو المكان هو الذاكرة و الحلم في الوقت نفسه .فالمكان،إذن، هو (كوننا الأول،كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى وإذا طالعنا بألفة فسيبدو أبأس بيت جميلاً).[4] وهذا يعني أن علاقتنا بالمكان لا تقتصر على مجرد الانتماء المكاني أو الجغرافي فحسب ،بل تتسع لتشمل أبعاد الوجود الإنساني كله ماضياً وحاضراً ومستقبلاً ،فترتسم على صفحته حميميات وجودنا ، وتتشكل في أروقة أبعاده ملامح شخصيتنا،فإذا المكان يستحيل البوتقة التي تنصهر فيها " أفكارٌ و ذكرياتٌ وأحلامُ الإنسانية".[5]

إن فلسفة المكان و علاقته بالإنسان لا تنحصر في تحديد الإطار المكاني الذي نحتمي به، ونعيش فيه ،وتنتج على أديمه معطيات معاشنا التي تضمن للإنسان البقاء و الاستمرار؛ بحيث يستحيل المكان إلى سجل تاريخي أو ذاكرة تاريخية تعنى بالوقائع و الأحداث،ولكن فلسفة المكان أشمل من ذلك وأبعد، فهي رصد للحظات الهاربة من الذاكرة و المتدفقة في مسارب الحلم، لا في أقبية التاريخ و المتلبسة بظمأ الرغبة و جنون الاشتهاء، لحظات تستحيل إلى

فضاء نمارس فيه بحرية وانعتاق أحلى لحظات الحلم و أعذبها وألذها ،ذلك "أن وظيفة الشعر الكبرى هي أن يجعلنا نستعيد مواقف أحلامنا،فالبيت الذي ولدنا فيه هو أكثر من مجرد تجسيد لمأوى،هو تجسيد للأحلام كذلك". (6)

إن جمالية المكان لا تنبع من مقدرة الكاتب الفنية على تمثل الأبعاد الهندسية للمكان الذي يصوره حتى ،وإن بلغ هذا التمثل درجة الإتقان ولكنها تنبع من مقدرته على جعل المكان يتمثل فيما يجوس في النفس من خلجات،وفي الحلم من نبضات، وفي اللاشعور من ذكريات،فإذا المكان يمثل في الحلم،وإذا الحلم يتجسد في المكان.

- المكان في المفهوم النقدي النظري:

يعد المكان عنصراً أساسياً ومكوناً رئيسا في العمل السردي، ولم يعد ينظر إليه بتلك النظرة التقليدية التي تجعل منه مسرحاً للأحداث و الوقائع أو الأفعال و سلوكات الشخصيات فحسب، بل أصبح يتمتع بقيمة فنية عالية ارتقت به إلى أن يغدو البؤرة التي تصنع الأحداث و المحك الذي يسبر أغوار الشخصية لاستبطان أبعادها النفسية و الاجتماعية و التاريخية ،فلم يعد المكان، إذن ذلك الحيز الجغرافي الحيادي المقعر أو المجوف أو المسطح،و إنما غدا فضاء مفتوحاً تتخلق في رحابه دلالات رمزية تجسد علاقة الصدام أو التآلف بين "المكان" ومن يسكن المكان أو يقيم فيه.

وانطلاقاً من أهمية المكان ومن حضوره الفاعل في العمل الروائي باعتباره" شخصية معنوية" تتميز عن سائر عناصر السرد الأخرى ،أولته الدراسات النقدية عناية خاصة، إذ تباينت التعريفات و المفاهيم التي تحدد المكان بتباين المرجعيات الثقافية و الفنية و تباين الرؤى الجمالية.ومن ثم تعددت الأسماء ،و تنوعت المصطلحات ،واختلفت المفاهيم من ناقد إلى آخر، فمن قائل "بالحيز" إلى قائل "بالمكان" إلى قائل "بالفضاء" .فماذا يعكس هذا التنوع يا

ترى ؟ أيعكس ثراء في المصطلح و المفهوم،أو يعكس ضحالة وتشوشا في الفكر، أو يعكس تعدد المرجعيات وتباين التصورات؟

استخدم الناقد عبد الملك مرتاض مفهوم " الحيز" عوض، مفهوم "المكان"و"الفضاء"، ذلك أن الحيز، في رأيه أوسع وأشمل من المكان و الفضاء ؛لارتباط الأول بالحيز الجغرافي وارتباط الثاني لفضاء)بالخواء و الفراغ في حين أن مصطلح"الحيز" يدل على: " النتوء و الوزن و الثقل و الحجم و الشكل..."[7].

ويرى الدكتور عبد الملك مرتاض أن هذا المصطلح، سواء أكان "الحيز" أم "الفضاء" ،هو مصطلح وافد على الساحة النقدية العربية وثمرة للترجمة عن الفرنسية و الإنجليزية[8] وكأنه يشير هنا إلى أن تعدد المصطلح للمفهوم الواحد يدل على ما يعاينه المصطلح الوافد ،بعامة،"من اضطراب وانزياح في المفهوم.

يرتبط "المكان" بمجمل عناصر السرد، ولكنه أكثر ارتباطاً بالوصف؛ إذ إن الوصف هو الذي يمنح المكان هويته وشخصيته، فيمكنه من التشكل والتبلور.[9]

يتصف الحيز عند عبد الملك مرتاض بمظاهر تجسده وتجليه. و هي:

1- المظهر الخارجي:

ويعني الناقد بهذا الصنف من الحيز ذلك الحيز الذي تحدده الجغرافية ،وهو حيز ذو حدود و تضاريس [10]. وهو غير الحيز الأدبي الذي " يعكس مثول الإنسان في صورة خيالية (الشخصية)[11] إلا أن هذه الشخصية ،وإن كانت خيالية (فنية) فهي لا تتحرك إلا في حيز جغرافي أو في مكان"[12]

وعليه فإن الحيز الجغرافي هو(الحيز الراهن والطبيعي و الإنساني لوجه الأرض)[13] ،فهو،إذن موضوع علم الجغرافية،في حين أن الحيز الأدبي هو أكبر وأوسع من الحيز الجغرافي،فهو أشمل من الحيز الجغرافي الذي يقتصر على عوالم مادية محدودة. فالحيز الأدبي"

عوالم لا حدود لها... فالجغرافيا بحكم طبيعتها المتمحضة لوصف المكان الموجود لا المفقود، ولا المكان المنشود و الذي يحلم الإنسان برؤيته خارج إطار الأرض، لا تستطيع استكشافه و الوصول إليه". (14)

إذن فالحيز الأدبي هو غير الحيز الجغرافي، فالحيز الأدبي،وإن تمثل أوصاف الحيز الجغرافي، فهو لن يكونه على الإطلاق...

2- المظهر الخلفي:

ويقصد عبد الملك مرتاض بالمظهر الخلفي للمكان "المظهر غير المباشر" وهو بناء للمكان باللغة ،على أن لا يتم في هذا البناء استخدام الألفاظ المعهودة الدالة على المكان المعهود مثل الجبل-الطريق-البيت-المدينة... بل تستخدم ألفاظ تعبر عن المكان تعبيراً غير مباشر مثل سافر-رحل-خرج-أبحر-ركب الطائرة... (15) ؛ ويعني هذا أن المكان الفني هو تشكيل خيالي نفذه الخيال و ركبه من مادة لغوية مفتوحة على دلالات رمزية لا حصر لها. فالمكان الفني بوصفه لغة يحيل على عوالم لا حدود لها (16)

فالحيز الخلفي هو حيز إيجابي (جيرار جنيت)، إذ كل حيز يولد حيزاً آخر مثله أو أكبر منه ؛أي أنه يتمتع بخاصية "التحيز. (17) "

والحق أن الحيز الفني فضاء لا تحده حدود، و لا ينتهي عند نهاية معلومة على خلاف المكان الذي يوصف بأنه محدود وله نهاية معلومة،في حين أن (الحيز الفني لا حدود له ولا انتهاء، فهو المجال الفسيح الذي يتبارى في مضطربه كتاب الرواية، فيتعاملون معه بناءً على ما يودون من هذا التعامل؛ حيث يغتدي الحيز من بين مكونات البناء الروائي كالزمان و الشخصية و اللغة، ولا يجوز لأي عمل سردي (حكاية-خرافة- قصة- رواية) أن يضطرب بمعزل عن الحيز الذي هو، من هذا الاعتبار عنصرٌ مركزي في تشكيل العمل الروائي حيث يمكن ربطه بالشخصية و اللغة و الحدث ربطاً عضوياً". (18)

وإذا كان الحيز عند عبد الملك مرتاض بهذا الامتداد و الاتساع وبهذه الحيوية و النفاذ إلى أعماق الأشياء و الطبيعة ليختبر كنهها ويستبطن جوهرها، فيصبح ،وكأنه عمق الأعماق وأفق الآفاق،فإنه عند جوليا كرستيفا رؤية فنية (vison de l espace) قياساً على مصطلح "الرؤية للعالم" متجاوزاً بذلك محدودية المكان و ضيق أفقه الهندسي ليغدو رؤية فنية ، رؤية تنبثق من موقف الروائي الفلسفي و العقلي من العالم و الكون من حوله ،و التي تسخر" حيز اللغة و نشاط الذهن و كفاءة العقل عوض تسخير رسم أحياز ممتدة لاهثة تضطربُ فيها الشخصيات".(19)

ويخلص الدكتور عبد الملك مرتاض إلى أن الحيز الأدبي حيز مفتوح يحطم المعايير المادية و الأبعاد الهندسية و الحدود الجغرافية. فالحيز إذن " امتداد مستمر، مفتوح على جميع المتجهات وفي كل الآفاق".(20)

ويزعم ميشال بيطور في كتابه(عبقرية المكان) (genie du Lieu) أن عبقرية المكان تكمن في عبقرية التشكيل الأدبي التي تتجلى في تشكيل الأحياز الأدبية وخلق عالم سحري وفضاء عجائبي.(21)

وأيا ما كان الحال، فالحيز الأدبي تشكيل عبقري تجعل منه اللغة و الخيال فضاء لعالم بلا حدود، عالم الحلم.

المكان و الفضاء الروائي:

وإذا كان الباحث عبد الملك مرتاض قد آثر مصطلح الحيز للدلالة على المكان الفني أو الفضاء عند الآخرين، فإن من الباحثين من آثر استخدام مصطلحات أخرى كالمكان و الفضاء. و هم يقسمونه إلى أصناف منها:

1- الفضاء كمعادل للمكان:

يقصد بالفضاء هنا" الحيز المكاني في الرواية أو في الحكي عامة ويطلق عليه عادة الفضاء الجغرافي(l espace Geographique) [22]؛ إذ غالبا ما تتضمن الرواية " حداً أدنى من الإشارات" الجغرافية التي تشكل فقط نقطة انطلاق من أجل تحريك خيال القارئ أو من أجل تحقيق استكشافات منهجية للأماكن".[23]، فالفضاء، من هذه الناحية هو معادل للمكان الذي تصوره الحكاية أو القصة المتخيلة، غير أن هذا التصور للفضاء جعل البعض يرى أنه بالإمكان أن يدرس المكان بمعزل عن المضمون، بحيث لا يعنى هؤلاء إلا ببنية الفضاء الخالص [24]، في حين يرى البعض أنه لا يمكن أن يدرس الفضاء إلا في علاقته بدلالته الحضارية، لأن الفضاء في الرولية يكون مشحوناً بالدلالات التي ترتبط بعصر من العصور، حيث تهيمن ثقافة معينة أو رؤية ما للعالم أي أيديولوجيم العصر (IDIOLOGEME) ؛و الأيديولوجيم هو الطابع الثقافي العام الغالب في عصر من العصور، ولذلك ينبغي للفضاء الروائي أن يدرس دائماً في تناصيته ؛أي في علاقته مع النصوص المتعددة لعصر ما أو حقبة تاريخية محددة [25]، فهذا التصور الذي تمثله جوليا كريستيفا يدرج(المدلول الثقافي ضمن تصور المكان).[26] فالفضاء، هنا يعادل المكان الجغرافي، وهو "الحيز الذي يتحرك فيه الأبطال"[27].

2- الفضاء النصي: "L ESPACE TEXTUEL"

وهو" الحيز الذي تشعله الكتابة ذاتها باعتبارها أحرفاً طباعية على مساحة الورق"[28] .ويتشكل بالإضافة إلى الحروف الطباعية من تصميم الغلاف، وضع المطالع،تنظيم الفصول، تغيرات الكتابة المطبعية و تشكيل العناوين وغيرها...[29]

إن هذه العناصر الخارجية تتصل بالمظهر الخارجي للرواية وتمنحها دلالة جمالية وقيمية، فوضع الاسم –مثلا- في أعلى الصفحة له دلالة تختلف عن دلالته لو وضع في أسفل الصفحة.فالفضاء النصي (الطباعي) هو الفضاء الذي تتحرك فيه عين القارئ، إنه فضاء

الكتابة الطباعي، ولا علاقة له بالمكان الذي يتحرك فيه الأبطال"[30].ومن الذين عنوا بهذا النوع من الفضاء الباحث "ميشال بتور" الذي لم يقصره على فضاء الرواية ،بل وسعه ليشمل الفضاء النصي في الكتابة بشكل عام، فعُني بالكتاب وسمكه وعدد صفحاته وإعلاناته. فالفضاء النصي وفق هذا التصور، ليس له علاقة مباشرة بمضمون الحكي ،غير أنه لا يخلو من فائدة ،إذ يحدد طبيعة تعامل القارئ مع النص الروائي كما يوجهه إلى فهم خاص للنص، ومن ثم فإن الفضاء النصي هو فضاء مكاني، أصلاً ، يشكل ضمن رقعة الكتاب و أبعاده إلا أنه مكان محدود ،وليس له من علاقة بالمكان الروائي الذي تتحرك فيه الأبطال.[31]

أحصى ميشالبتور أنماطاً من الفضاء النصي سواء أكان روائياً أم لا؟ و منها : الكتابة الأفقية وهذا النوع من الكتابة يعطي الانطباع بتزاحم الأحداث أو الأفكار في ذهن البطل الرئيسي في الرواية أو القصة [32] ومن الذين وظفوا هذا الأسلوب الروائي صنع الله إبراهيم في(تلك الرائحة)[33]. ومنها الكتابة العمودية وهي استعمال جزئي للورقة يمينا أو شمالا أو وسطا، أو في شكل كتابة شعر أو في شكل حوار...

ومنها أيضاً التأطير وهو عبارة عن صفحة داخل صفحة حسب ميشال بتور، وغالباً ما يحتل وسط الكتابة وقد يوضع في إطار، والغاية منه هي شد انتباه القارئ إلى قضية محددة في الزمان و المكان، ويقوم بدور التحفيز الواقعي في النص، ومن أمثلته اللوحة الإشهارية (طبيب-حمام...) التي ترد في النص الروائي.[34]

و من أشكاله كذلك البياض الذي يعلن عادة على نهاية فصل أو نقطة محددة في الزمان و المكان أو عن انقطاع حدثي أو زماني كوضع ثلاث نقاط(...) في الختام . و قد يتخلل البياض الكتابة ذاتها للإشارة إلى محذوف أو مسكوت عنه داخل النص ،و تمثله نقطتان أو ثلاث نقط على الأكثر، وعند البياض الفاصل بين فصول الرواية، عادة، ما ينتقل إلى صفحة

جديدة .وقد يدل هذا الانتقال على مرور حدثي أو زماني وما يتبعه من تغيرات مكانية على صعيد القصة ذاتها.

ومن أشكال الفضاء النصي،أيضاً ألواح الكتابة ،وهي عبارة عن ألواح من الكتابة متقابلة داخل النص الروائي مثل النصوص المترجمة ،حيث يعرض النص الأصلي في مقابل ترجمته (العربي/الفرنسي)، ومن هذه الألواح ما يعرف بالنصوص المتخللة؛ إذ يتخلل النص الأصلي نصوص أجنبية أو نصوص شعبية، وهدفها التحفيز الواقعي، وترد عادة في الحوار، مما يجعل القارئ يتفاعل معها بردود أفعال مختلفة وفق مستواه الثقافي.(35)

ومن أنماط الفضاء النصي التشكيل التيبوغرافي، وهو أشكال من الكتابة الآلية الحديثة، كالكتابة المائلة و الممططة .و يؤتي بها لتمييز فقرات معينة داخل النص أو عند الاستشهاد و منها كتابة العناوين الداخلية بخطوط مختلفة، ويستعمل هذا النمط من الكتابة للتمييز بين الحوار و السرد و الاسترجاعات .و من الذين استخدموا هذه التقنية الروائي عبد الرحمان مجيد الربيعي الذي كتب بالأسود لدلالة على الماضي و بالأبيض لدلالة على الحاضر في روايته (الوشم). وقد تستخدم الكتابة بالأسود للتركيز على الأحداث وتتبعها و التمييز فيها بين ما هو خارج زمن النص و ما هو داخل زمن النص. و الكتابة بالخط الأسود تثير انتباه القارئ إلى نقط محددة في الصفحة ،ولذلك تأتي عناوين الفصول وأحياناً أسماء الأبطال و الأماكن مبرزة بالخط الأسود لتركيز حضورها في الذهن(36). ومن أنماط الفضاء النصي التشكيل وعلاقته بالنص ،ويُعنى به التشكيل الخارجي الأمامي للغلاف للنص الروائي ولتشكيل الغلاف الأمامي الخارجي في الرواية العربية أنماط مختلفة تصنف إلى صنفين أو نمطين:

1-تشكيل واقعي: و يتعلق بأحداث القصة أو إلى مشهد مجسد منها وعادة ما ينتقي الرسام موقفا في القصة يتسم بالتأزيم الدرامي للحدث. والقارئ يمكن له أن يربط بسهولة بين النص و التشكيل لدلالته على مضمون النص الروائي. ويعتمد الرسم الواقعي في الغلاف

لإثارة خيال القارئ ليتمثل وقائع القصة كأنها واقع حقيقي. وقد توجد رسومات داخلية ،غير أنها عادة تكون باللون الأبيض و الأسود ،في حين يكون التشكيل الخارجي الأمامي للغلاف بالألوان.(37)

2-تشكيل تجريدي: ويقتضي من القارئ خبرة فنية لتأويله وإدراك دلالاته و الربط بينه وبين النص، فتأويل الرسومات مهمة المتلقي لإيجاد العلاقة بين هذه الرسومات وبين مضمون النص الروائي، أي بين العنوان أو النص وبين التشكيل التجريدي. و قد تظل هذه العلاقة غامضة في ذهن المتلقي.(38) كما أن التشكيل الأمامي الخارجي يضم أسماء المؤلفين و العناوين و الإشارات. و اختيار مواقع هذه الإشارات وترتيبها له وظيفة دلالية جمالية أو قيمية، لأن كتابة الاسم أعلى الصفحة لا يعطي الانطباع ذاته عند كتابته في أسفل الصفحة (39)

وعليه فإن علاقة الإنسان بالمكان علاقة حميمية جداً، لأن المكان معطى سيميائي مشحون بالقيم و الدلالات الروحية .وحضوره يتغلغل في أعماق الشخصية.(40)

3- الفضاء الدلالي:

تناول هذا النوع من الفضاء الناقد "جيرار جنيت" وحدده في المجاز، و المجاز كما نعلم يجعل للغة وظيفتين،إحداهما يكون فيها المعنى حقيقياً و ثانيتهما يكون فيها المعنى مجازياً (41) .والفضاء الدلالي بعبارة واضحة ينحصر في الصورة الفنية التي، إن هي تحديدا سوى الشكل الذي يتخذه الفضاء، وهي الشيء الذي تهب اللغة نفسها له، بل إنها رمز فضائية اللغة الأدبية في علاقتها بالمعنى (42).

يتشكل الفضاء الدلالي في العلاقة القائمة بين المدلول الحقيقي و المدلول المجازي. وهذا من شأنه إلغاء وكسر الامتداد الخطي للخطاب.(43)

إن الفضاء الدلالي الذي عناه جيرار جنيت يخص الشعر و لا يخص الرواية، فهو ليس سوى المجاز، وهو ما يبعده عن دائرة الفضاء الروائي. إن هذا النوع من الفضاء ليس له مجال مكاني ملموس،لأنه مجرد مسألة معنوية ، في حين أن الفضاء الروائي يقتضي "وجود مجال مكاني معين يمكن أن يدرك أو يتخيل كما يمكن أن يحتوي على أشخاص أو حتى على أحرف طباعيه "[44]

4- الفضاء كمنظور أو كرؤية:

ترى "جوليا كريستيفيا" أن رؤية الكاتب هي التي تحدد الفضاء و تراقبه، لأن الرؤية هي التي تهيمن على مجموع الخطاب ؛بحيث يكون المؤلف بكامله متجمعا في نقطة واحدة، و كل الخطوط تتجمع في العمق حيث يقبع الكاتب. وهذه الخطوط هي الأبطال الفاعلون les (Act ants) الذين تنسج الملفوظات بواسطتهم المشهد الروائي).[45]

يشبه الفضاء الدلالي حسب كريستيفيا، الواجهة المسرحية، إذ إن العالم الروائي بما فيه من أبطال و أشياء محكوم بمحركات خفية يديرها الكاتب وفق خطة مرسومة .و هذا ما يشبه إلى حد ما، ما يعرف في السرد بزاوية رؤية الراوي أو المنظور الروائي. [46] فالفضاء كمنظور ورؤية هو أشبه بخطة عامة يضعها الراوي الكاتب لإدارة الحوار و إقامة الحدث بواسطة أبطال...

ويرى الباحث حميد لحميداني أن كلا من الفضاء الدلالي و الفضاء كمنظور أو كرؤية ليس لهما من مفهوم الفضاء الروائي إلا الاسم فقط؛ لأنهما لا يرتبطان بفضاء مكاني، فلا يدلان على مساحة مكانية محددة، إذ يحيل الأول على الصورة الفنية ،و يحيل الثاني على زاوية النظر عند الكاتب.[47]

بين المكان و الفضاء:

تتعدد الأمكنة في الرواية و تتنوع و تختلف في الأبعاد و الأحجام و الأصناف، وقد لا يكتفي الروائي بالمكان المحسوس و لا يقف عنده، و إنما يخلق أمكنة فكرية و ذهنية تكون

مسرحاً لأحداثه و أبطاله.[48] إن مجموع هذه الأمكنة هي ما يعرف بالفضاء الروائي. فالفضاء الروائي أشمل وأوسع من معنى المكان ،و المكان إنما هو مكون الفضاء، فالفضاء هو العالم الذي يجمع الأمكنة في الرواية على تعددها و تنوعها و اختلافها؛ فالبيت و المقهى و الشارع تعتبر أمكنة ؛و لكن الرواية، إذا ضمت هذه الأمكنة في عالمها، فإنها جميعها تشكل فضاء الرواية؛ فالفضاء يشكل مسرح الرواية كلها ،و المكان يتعلق بمجال جزئي فقط من مجالات الفضاء الروائي [49]،ولا بد من الإشارة إلى أن زمن المكان زمن متقطع بينما زمن الفضاء زمن سيرورة و تواصل واستمرار،فالفضاء لا يقتصر على ضم الأحداث فقط ،و إنما هو الذي يؤطرها ويكون متواجداً فيها أثناء جريان الوقائع. [50]

ويخلص الباحث حميد لحميداني إلى أن الفضاء الروائي أوسع و أشمل من المكان؛ إذ يشكل مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية المتمثلة في سيرورة الحكي ،سواء ما تم تصويرها مباشرة أم تلك التي تدرك بطريقة ضمنية مع كل حركة حكائية، إلا أن الخط التطوري الزمني شرط لإدراك فضائية الرواية على عكس المكان المحدد، فإدراكه لا يقتضي السيرورة الزمنية للقصة.[51]

علاقة المكان بعناصر السرد:

1) : **-المكان والشخصية:**يعد المكان مسرحاً وإطاراً للأحداث و لا توجد أحداث بلا فاعلين،فإذا كانت كل مكونات السرد مرتبطة فيما بينها ،فإن المكان هو أكثر ارتباطاً بالشخصية " إنه خشبة مسرح واسعة تعرض الشخصيات من خلالها أهواءها وهواجسها و نوازعها و عواطفها وآمالها وآلامها تحب إن أحبت، عليه وتكره إن كرهت من خلاله، فلا تستطيع الشخصيات في تعاملها مع الأحداث فعلاً أو تفاعلا أن تفلت من قبضة هذا الحيز ،كما أن هذا الحيز يمثل في مألوف العادة طائعاً لها يمتد إذا مددته ،ويتسع إذا وسعته ويتجه أنى وجهته".[52]

إذ ن، فالمكان عنصر فاعل في الشخصية يؤثر فيها ويطبعها بطابعه ويسم سلوكها بميسمه، كما أن الشخصية بدورها،تؤثر في المكان. إذن فهما عنصران متكاملان، و العلاقة بينهما جدلية، فالاكتفاء بوصف المكان خارجيا وظاهرياً لا يمكنه أن يعكس الدلالة التي ينطوي عليها المكان من ألفة و حياة داخلية للأبطال و الشخصيات، فالبيت مثلاً"هو امتداد لها، ووصفه هو وصف لها، باعتباره تعبيراً عن أصحابها"[53]. وعليه فالبيت ليس مكاناً جغرافيا تحدده جدران ويلفه سقف ويملؤه أثاث ويعمره أناس وكفى، بل هو حياة إنسانية كاملة ومتكاملة بأفراحها وسعادتها وشقائها؛فالبيت جزء من حياة أصحابه ،كما أن أصحابه هم جزء منه، كذلك الأشياء التي يضمها البيت هي أشياء شحنت بآهات وخلجات وآمال ساكني هذا البيت "فكل حائط وكل قطعة أثاث في الدار هي بديل للشخصية التي تسكن هذه الدار".[54]، فالبيت امتداد للشخصية و الأثاث بديل لها، وهذا يعني أن تاريخ الأشياء و تاريخ البيت يرتبطان بتاريخ الأشخاص، مما يعني أيضاً أن هناك تأثيراً متبادلاً بين هذه الأشياء وهؤلاء الأشخاص، و بين الأشخاص و المكان، يقول ميشال بوتور في هذا الشأن "إن للأشياء تاريخاً مرتبطا بتاريخ الأشخاص"[55]،وهذا يدل على التأثير الإنساني في الفضاء المكاني.[56]

و المكان في يد الروائي المقتدر و المتمرس يتحول إلى أداة ناجعة لسبر أغوار الشخصية النفسية و الاجتماعية و والتاريخية وذلك في سياق الاتجاه العام للقصة أو الرواية ،حيث تتداخل الخيوط وتتشابك الأبعاد و تتفاعل العناصر النفسية و الاجتماعية و التاريخية لتنصهر في بؤرة دلالية غنية يضاعف من قيمتها وتأثيرها في البناء الفني الفضاء الذي هو وسيلة من وسائل الاستشفاف.[57]

2) المكان و الزمان:

ساير المكان الإنسان في مختلف مراحل حياته و ما عرفه من نجاحات و إخفاقات وتقدم وانتكاس فكان شاهداً على تشييد حضارات وازدهار ثقافات وارتقاء أفكار وخمودها؛ فالمكان لا يكتسب(قيمته الفنية و الموضوعية إلا باعتباره وعاءً ،و الإنسان يسعى من خلال المكان و الزمان إلى تحقيق شعوره بالتواجد و الكيان الفردي و الاجتماعي؛فهو ينعكس في الأشياء كما أن الأشياء تنعكس فيه)[58] ،. وعليه فإن الإحساس بالمكان يكشف عن منحى العلاقات المتماهية عبر التجليات التصورية التي يمثلها الشعور بالزمان؛ وبخاصة إذا كانت اللغة أداة زمانية [59] ، ذلك أن اللغة تحمل " دلالات مكانية، والأديب حين يستعمل اللغة إنما يقوم بعملية تشكيل مزدوج في وقت واحد؛ إنه يشكل من الزمان و المكان معاني ذات دلالة ".[60] ،إن كلا من المكان و الزمان يدركان؛ غير أن المكان يدرك حسياً بينما يدرك الزمان نفسياً ؛ ولذا فإن المكان يمكن ملاحظته و مشاهدته بسهولة على خلاف الزمان؛لأن المكان مجسد، ومع ذلك فإن العلاقة بين المكان و الزمان وطيدة وتفاعلهما يكشف عن طبيعة عناصر التكوين الفكري و الرؤية عند القاص، وبانصهارها في بوتقة واحدة يكتمل للحدث قيمته الواقعية.[61]

و الواقع أن الزمان و المكان عنصران متلازمان و لا يقبلان الافتراق" فلا حيز بلا زمان وزمان بلا حيز، ولا يجوز أن ينفصل أحدهما عن صنوة في العمل السردي"[62]، غير أن هذه العلاقة على ثباتها و ديمومتها فإنها تخضع لقانون التعاكس و التضاد، فهي تتخذ طابع علاقة الإيجاب و السلب،الإثبات و النفي، المسالمة و المصادمة ،العداء و المودة" ،(وهكذا يمكن لعلاقة الزمان بالمكان أن تكون علاقة بغضاء أو علاقة الجاني بالضحية (المكان غالبا ضحية الزمان)أو علاقة مودة(ولكنها على كل حال مودة إلى حين)، أو علاقة قلقة (المكان يخاف الزمان)".[63]

تنهض العلاقة بين الزمان و المكان على قاعدة يمكن أن نطلق عليها قاعدة "العالم العاري و القوة الخفية"، بحيث إن المكان عالم مادي مشخص و مجسد يلمس ويرى ويتحقق في عالم الواقع و الوجود، بينما عالم الزمان غير كذلك؛ فهو ليس مشخص ولا مجسد ولا يلمس ولا يُرى و لا يمكن التحقق من وجوده واقعياً ؛و لكننا نحس به بقوه و نعانيه بأثره فينا وفي العالم من حولنا؛ "إنه قوة خفية و شبه مرئية أيضاً". (64)

إن المكان لا يعيش منعزلا عن باقي مكونات السرد بل يدخل معها في علاقات متنوعة و متعددة و معقدة و النظر إليه معزولا عن محيط هذه العلاقات و نسيجها يحول دون أن نفهم الدور النصي الذي ينهض به الفضاء الروائي داخل السرد.(65) ،فكذلك الزمان لا يعيش منفصلا عن مكونات السرد الأخرى فالشخصيات التي تتأثر بمكان ما، فإنها لا تتأثر به إلا من خلال فعل الزمن في ذلك المكان؛ فالزمن هو ما جعل منه صرحا عالي البنيان، أو هو ما أحاله إلى خراب، أو هو ما تغافل عنه.(66)

وإذا كان للمكان من دلالة اجتماعية يصورها و يعبرها عنها بحيث يمكننا —مثلا التعرف على الوضع الاجتماعي للإنسان من خلال بيته أو منزله و الأماكن التي يتردد عليها؛ فإن الزمان هو الآخر ينطوي على معنى اجتماعي.(67)

يرتبط كل من الزمان و المكان ببعضهما بعرًى وثيقة لا تنفصم و يرتبطان معاً بباقي مكونات السرد الأخرى كالشخصية و غيرها بعلاقة حميمية (68) ، غير أن علاقة المكان بالزمان هي علاقة المتغير بالثابت، فالمتغير هو الزمان و الثابت هو المكان، كما أن هذه العلاقة نفسها هي التي تحكم علاقة الزمان بسائر عناصر السرد الأخرى.(69)

" و المكان و الزمان هما مكونا الفضاء الذي تشكل فيه الوجود الإنساني، ولكل بيئة مكانية خصائصها الطبيعية و المناخية و الجيولوجية و الأركولوجية و الأنتروبولوجية، كما لها ذاتيتها التاريخية).(70)

يعد الزمن أحد العوامل التي تميز المكان عن الفضاء في الرواية ،فإذا كان المكان المحدد في الرواية يتطلب توقفا زمنياً لسيرورة الأحداث ،فإن الفضاء الروائي يستدعي استمرارية زمنية، فالمكان المحدد أو المجزأ يقتضي زمنا متقطعاً، في حين أن الفضاء القائم على الحركة يقتضي التواصل الزمني، وبالتالي فلا يمكن تصور فضاء روائياً دون تصور الحركة التي تجري فيه بينما يمكن تصور المكان الموصوف دون استمرارية الزمن أو سيرورته.(71)

المحصلة إن كلاً من الزمان و المكان في الرواية يتفاعلان و يتجادلان ويتبادلان التأثير فيما بينهما من جهة و فيما بينهما و بين المكونات السردية الأخرى من جهة أخرى.

المكان و الوصف:

يعد الوصف تقنية إنشائية تتناول الواقع في مظهره الحسي، و الوصف هو تصوير (فوتوغرافي) للواقع و مشمولاته عند الروائيين الواقعيين، في حين أن الوصف عند الروائيين الجدد هو (وصف تعبيري) يصور الواقع لا كما هو، و إنما يصوره من خلال إحساس الإنسان به وبأثره فيه.فالواقع عند هؤلاء ليس حقائق مستقلة عن الشخصية ،و إنما هو صدى للشخصية وأحداثها (72)، حتى أن المكان أضحى طرفاً فاعلا في المكونات السردية ،بحيث قد يستحيل إلى كائن حي يعي ويعِقل و يضر و ينفع و يستمع وينطق.(73)

كان اهتمام كتاب الرواية التقليدية منصباً على وصف الشخصية، بحيث لم يحظ المكان فيها إلا باهتمام عرضي، غير أن الرواية الجديدة قد عُنيت بالمكان عوض الشخصية؛ بل جعلته الشخصية ذاتها للإيهام بالواقع عندما يصور أماكن واقعية على غرار ما فعل نجيب محفوظ في رواياته الواقعية.(74)

و الوصف نوعان؛ وصف استقصائي، وهو وصف تفصيلي ووصف انتقائي، وهو وصف إيجابي يعني ببعض المشاهد الدالة و يترك للقارئ مجالاً رحباً للإيحاء (75) و التخييل و التأويل؛ ذلك أن (جمالية الكتابة، و جمالية الكتابة الوصفية للحيز بخاصة، تمثل في الإيحاء و التكثيف

دون الإطناب و التفصيل؛ فكأنها تكفل بقول نصف ما تريد قوله و تترك النصف الآخر للمتلقي فيكتمل العمل و تشكل الجمالية و يتم التضافر بين المرسل و المستقبل أو بين الكاتب و القارئ). [76]

يعكس وصف المكان طبيعة للشخصية الاجتماعية الحضارية و الثقافية و خصائصها النفسية من مزاج و طباع و وعي، كما يعكس وصف الأثاث و أشياء البيت-مثلا- ذكرى ما من ذكريات صاحبه، و يدل على ملمح من ملامح شخصيته.

إن وصف الأثاث ليس هو تعبيراً عن أشياء واقعية فقط ؛بل هو تعبير عن الشخصية الروائية ذاتها [77] ، و عن طبقتها الاجتماعية (أثاث الطبقة الأرستقراطية معروف و مميز)،كما أن وصف الأثاث يساعد في التاريخ للأسرة المالكة له، إذ إن للأشياء تاريخاً كما للأشخاص و الطبقات [78]، فغالباً ما يعمد القاص أو الروائي إلى تصوير "أوصاف البيئة الطبيعية و الاجتماعية وحيث يلتقط أوصاف الملابس و أخلاق الناس وعاداتهم في تلك الفترة،وهو بطبيعة الحال لا يتقيد بها تقيداً تاما، إنما يستعين بها على تصور الفترة ،و يترك لخياله اللمسات الفنية الأخيرة التي تصهر هذه المادة و تمزجها مزجاً تاما [79].وهذا يعني أن دلالة المكان تتجاوز حدود الجغرافية لتتفاعل مع الذات و الرؤى و المواقف.

إن وصف الكتاب للطبيعة (الريف) ومظاهرها الجميلة ومناظرها الساحرة لا يعني أنهم يعنون بالإطار الخارجي فقط، و إنما يعني أنهم جعلوا من الطبيعة عنصراً رئيسياً في البناء الفني في الرواية يسهم في إثراء الأحداث وتطويرها فمزجوا، بذلك بين عنصر الزمان باعتباره أقوى العوامل في التأثير في حياة الإنسان، وبين عنصر الطبيعة إجلاءً للأبعاد النفسية للشخصيات ،من خلال نشر الإحساس بالقيم العميقة للحياة، من خلال أشكال أثقل شحنة و كثافة تتسم بدفء اللون و الإقناع. [80]

يوظف بعض الكتاب عنصر الطبيعة في التنبؤ بالأحداث و التمهيد لها؛ وذلك لإضفاء بعداً نفسياً على الشخصية و الكشف عما يجوس في نفسيتها من خواطر و مشاعر. وهذا الأسلوب هو أسلوب فني يضفي على المكان و الزمان قدر أكبر من الكثافة و التماسك تتحول معه آليات الوصف،خلال السرد،إلى مؤشرات مناخية تنبئ باحتمال وقوع حدث، أو فعل لم يقع بعد، ولعل في ذلك تهيئة نفسية للمتلقي بالتمهيد للحدث الذي سيتلقاه بعد ذلك. (81)

وأيا كان المكان الذي يوظفه الروائي طبيعة كان أو مكانا عادياً، فالمكان في جميع الأحوال هو ثمرة الخيال و حركة الذهن وليس نتاج البصر(وعلى الرغم من مادية الحيز الروائي إلاً أن هذه المادية هي مادية خيالية، وهي هيئة يشكلها الذهن أكثر من الواقع) (82) ،فوصف المكان الروائي إذن، هو وصف فني يخلقه الذهن ويشكله الخيال حتى ،وإن كانت ملامحه و سماته مستقاة من الواقع، إلا أن الواقع المتخيل يبقى أكبر من الواقع الحقيقي لما للخيال و الذهن من قدرة على الحركة من عوالم حقيقية إلى عوالم غير حقيقية عوالم وأماكن "لا نحيا دائما فيها" (83).

ويبقى أن المكان ،وإن كان رهينة الخيال في تشكله ،فإن تجسده فنيا في عالم الرواية لا يخلو من دلالة أو بعد أو من قيمة رمزية أو إيديولوجية (84) .و من ثم فإن العناية بالمكان و التركيز على وصفه في العمل الروائي صار ذا علاقة مباشرة بالمعنى و الدلالة، بل أصبح مصدراً للمعاني المتعددة اللامحدودة. (85).

لم يعد وصف المكان مجالاً لتباري الكتاب في إظهار المواهب و القدرات الفنية في استحضار الأشكال و بنائها و تزيينها ،و إنما أصبح مضماراً لإثارة الأفكار و الموقف فالمكان يساهم في خلق المعنى داخل الرواية، و لا يكون دائماً تابعاً أو سلبيا، بل إنه أحياناً يمكن أن يحول عنصر المكان إلى أداة للتعبير عن موقف الأبطال من العالم). (86)

المكان واللغة:

تعد اللغة من أهم مكونات النص السردي، فهي التي ترسم آفاق الفضاء الروائي؛ وتحدد معالمه و تضبط هويته، فالمكان الروائي إذن هو عالم لغوي و "فضاء لفظي بامتياز" [87] ؛إذ إن تشكل المكان في الرواية لا يتم إلا عبر اللغة و بواسطتها (وباللغة يتمكن الروائي من بناء مكان فني في الرواية له ملامحه الخاصة، وأبعاده المميزة، وحياته الخاصة، وهويته المحددة، بحيث تصبح بنية هذا المكان الفني نموذجا لبنية أي مكان واقعي خارج فضاء الرواية). [88]

وعليه فالروائي يشيد عالمه الفني و يجسده في المكان؛ ومادته في ذلك وسيلته اللغة؛فالمكان في الرواية، إذن هو عالم لغوي إذ إن " النص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكانا خيالياً له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة،ذلك أن الوصف تصوير ألسني موح يتجاوز الصورة المرئية؛حيث ينقل عالم الواقع إلى عالم الرواية ،فيصبح المطلوب ليس وصف الواقع، بل خلق واقع شبيه بهذا الواقع). [89]

الواقع أن المكان الفني في الرواية تحكمه اللغة فهو على خلاف المكان في الفنون الأخرى (الرسم والعمارة...)، الذي تحكمه مواد اللون والأشكال وغيرها؛ فاللغة هي التي تنسج ثوب المكان في الرواية وتجسده واقعاً حياً و"ترسم ملامحه و تشكل هيئته بالوصف الدقيق. فحيزية الرواية لغوية في حين أن الأحياز الأخرى تقوم ،إما على استعمال الألوان والأصباغ،إما على اصطناع الخطوط و المسافات و الأشكال"[90] .

اللغة مادة تشكيل المكان الفني في الرواية وهي تمتاز بنظام دلالي و جمالي بديع يمكنها من تمثل الواقع بأشيائه وموجوداته، كما يمكنه من استحضار عوالمه المتنوعة في الذهن و الخيال، فيرتسم المكان بمعالمه وحدوده و" تتشكل جغرافيته الأدبية التي تتصف، وذلك على نقيض الجغرافيا المكانية، بانعدام الحدود،أو بقدرتها على الأقل، على الاتساع و الشسوع، و الامتداد و العبور"[91]

وعليه يعد الوصف وسيلة فعالة في يد الكاتب يعتمد عليه في بلورة معالم المكان و تمثله وإبراز معالمه فيشكله واقعاً محسوساً ،حتى إذا تم له ذلك ،وكأنه واقع مادي مجسد نقله الكاتب بالكلمات إلى ذهن المتلقي ،فيمثله و يتصوره ويقيمه واقعاً محسوسا في ذهنه و خياله.[92]

الحق أن اللغة في الرواية يراعي فيها الكاتب مستوى الشخصية وطبقته الاجتماعية و مهنته و ما إلى ذلك من الخصوصيات الثقافية والاجتماعية و والبيئية ولذلك فإن لغة النص الحكائي ترتبط، أساساً، بالبيئة المحلية، فهي التي تلون اللغة و تضفي عليها من خصائصها المميزة و الفردية ما يجعلها ذات طابع مميز، وهذا يعني" أن النص الحكائي ليس محاكاة لنسق لغوي ذي مستوى واحد محدد تحديداً قاعدياً ، بل هو تنويع لغوي ينتظم في مجموعة من الأنساق اللغوية المتعددة المستويات تبعاً لتعدد الأفكار و المشاعر و الدلالات التي يتضمنها محتواه، والغاية المرجوة من سرده"[93] فالمكان الفني بوصفه كوناً لغوياً يغدو،هو الآخر مشحوناً بالمشاعر و الانفعالات و التصورات المكانية و بكل ما تشحن به اللغة.[94]

تخضع اللغة في الرواية لمنطق الواقع الفني الذي يجسده الروائي في نصه، فمادام هذا الواقع غنياً وثرياً ومتعدداً في بيئاته و شخصياته ،فلا شك أن اللغة ستكون انعكاسا لهذا الواقع على اختلاف طبقاته الاجتماعية ومكوناته الثقافية؛ فالفلاح و المعلم و الحرفي و العجوز الأمي،كل واحد من هؤلاء يحكي اللغة التي تناسب مستواه الثقافي و الاجتماعي و تنسجم انسجاما تاماً مع البيئة التي يعيش فيها؛ فاللغة المحكية لبيئة ما تتسم بأنها " منسجمة مع شخصيات الناس الذين حكوها و عبرت عن مشاعرهم ورغباتهم و مواقفهم و تساوقت مع المكان...الذي حكيت فيه"[95]

إذن فالمكان يؤثر في اللغة و يضفي عليها طابعاً خاصاً بحيث تبدو الشخصية في عالم النص الروائي مميزة في لغتها و مهنتها و طبقتها الاجتماعية.ولذلك تبدو العلاقة بين اللغة و المكان

في الرواية علاقة جدلية؛ فالمكان يكسب اللغة تميزاً و تفرداً ،و اللغة تجسد المكان و تلونه بألوانها و أصباغها، و تنقله أفضل من الواقع ؛ إلى عالم الرواية.

أهمية المكان في العمل الروائي:

يكتسي المكان في الرواية أهمية بالغة وتتبلور قيمته الفنية فيما يضفيه من دلالة على مضمون الرواية بشكل عام ،وفيما يكتسبه هو ذاته من دلالات رمزية خاصة به؛ وذلك عندما يفقد أبعاده المكانية و الجغرافية ويغدو امتدادا للفضاء الرمزي للرواية وما يعج به من حركة وصخب وأحداث و شخصيات، حينها يصبح المكان لا مكاناً؛بل أفقاً لا محدوداً وبعداً لا منتهياً.

غير أن أهمية المكان في الرواية لا ينظر إليها بالمعيار ذاته؛فإذا كانت الرواية الواقعية تعد المكان معادلاً للحقيقة و الواقع انطلاقاً من مبدأ أن المكان هو الذي يؤسس الحكي ؛لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة؛ وذلك في تصور هنري ميتران (96) ، فإن الرواية الذهنية —مثلا- أو روايات تيار الوعي ،لا يحتل المكان فيها الأهمية ذاتها التي يحتلها في الرواية الواقعية؛ فهذا النوع من الرواية لا يعنى إلا بالإشارات الخاطفة للمكان ؛بحيث لا تأتي منفصلة عن حركة السرد العامة؛أي أن رواية تيار الوعي أو الرواية الذهنية لا تنطلق من تحديد مكاني أو إطار مكاني محدد؛ لأن الحركة فيها لا تجري في المكان وإنما تجري في الوعي وفي الذهن، خلافا للرواية المكانية أو الواقعية التي تجري فيها الحركة في إطار مكاني محدد.(97)

وبصرف النظر عن طبيعة الرواية سواء أكانت واقعية أم ذهنية؛ فإن المكان يشكل مع مع مكونات السرد الأخرى الفضاء الروائي العام الذي تتفاعل فيه مختلف عناصر السرد.

الإحـــالات:

[1]. غاستون باشلار، جماليات المكان – المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع – لبنان- ط: 2، 1984- ص:44.

[2] اعتدال عثمان،إضاءة النص، دار الحداثة ط- 1- 1988- ص 5.

[3]- م .ت:6.

[4] -غاستون باشلار، جماليات المكان – المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع – لبنان- ط: 2، 1984،ص 36.

[5]- م .ن : 38.

[6] م. ن : 44 .

[7] -عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية-دار الغرب-وهران –الجزائر-ط بدون-العام-بدون-ص، 185.

[8]- م. ن.5/18.

[9]- م. ن.187.

[10]- م. ن.188.

[11]- م.ن.188.

[12]م.ن.188.

[13]- م.ن.188.

[14]-م.ن:189.

15- م.ن:189.

[16]-م.ن:190.

[17]- م.ن:-190.

[18]- م.ن: 192.

[19]- م.ن:195.

20- م.ن:207.

[21]- م.ن:212.

[22]- حميد لحميداني : بنية النص السردي-المركزالثقافي العربي-ط –الثالثة2000-ص- :53.

[23]-عن م –ن-صن -R- BOURNEUR et R- OUELLET : L' univers du Roman,P 45 1981.P.99

[24]- عن-من-صنH.MITTERAND, Le Discours du Roman,P192-193

25 - J- KRISTEYA- LE Texte du Roman, Mouton,1976,P :182

[26]- م.ن :55/54

27- محمد عزام- شعرية الخطاب السردي-اتحاد الكتاب العرب-دمشق-2005 :73.

28-حميد لحميداني- بنية النص السردي :55 .

29 عن م.ن :55 H.MITTERAND, Le Discours du Roman,P192 .

[30]-محمد عزام- شعرية الخطاب السردي : 72.

31-حميد لحميداني – بنية النص السردي :56/55.

[32]-م.ن:.56.

33-م.ن :57/56.

[34]-م.ن : 58.

35- م.ن:59 .

[36]- م.ن:59.

[37] - م.ن:60.

38-م.ن 60.

[39]- م.ن :60.

[40]- محمد عزام، شعرية الخطاب السردي :73.

[41]--م ن:73.

42- 47- 46 : SEUIL GENETTE FIGURES A 1976P عن حميدي لحميدي، بنية النص السردي : 61.

43- م.ن:61

44-حميد لحميداني - بنية النص السردي :61.

45- J-KRISTIVA:Le Texte Roman ,P:186 عن حميد لحميداني - بنية النص السردي :61 ومحمد عزام- شعرية الخطاب السردي -ص:73.

[46]- م.ن:61.

[47]-م.ن:62.

[48]-م.ن:63.

[49]- م.ن:63.

[50]- م.ن:64.

[51]- م.ن:64.

[52]- عبد الملك مرتاض: نظرية الرواية :908.

53- ويليك ووارين، نظرية الأدب – تر: محي الدين صبحي- دمشق: 1972 ص: 288 .

[54]-الآن روب غرييه- نحو رواية جديدة- تر: مصطفى إبراهيم – دار المعارف ، مصر ص:130.

[55]- ميشيل بوتور- أبحاث في الرواية الجديدة- تر: فريد انطونيوس- عويدات- بيروت:1971 ص55.

56- محمد عزام: شعرية الخطاب السردي: 68.

57-سهير القلماوي، فن الأدب،دار الثقافة،القاهرة :1973- ص104 عن أحمد طالب –جمالية المكان في القصة القصيرة الجزائرية –دار الغرب –للنشر و التوزيع -ص 14.

58- P.JTROU,A La recherche du Temps Perdu-PARIS, 1954P :158 عن أحمد طالب، جمالية القصة القصيرة الجزائرية ص:11.

59 م.ن:11 .

60-شايف عكاشة- مقدمة في نظرية الأدب – د.م.ج الجزائر -1990 ص:58.

61 أحمد طالب – جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية ص:12.

[62]-عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية :196.

63-أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة-المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت-الأردن-ط1 -2004- ص:75.

[64]--م.ن:76-77.

65-- حسن بحراوي- بنين الشكل الروائي :26 عن أحمد حمد النعيمي-إيقاع الزمن في الرواية العربية :78.

66- أحمد حمد النعيمي –إيقاع الزمن في الرواية العربية :78.

67- م.ن:80.

68-إبراهيم الفيومي- قراءات نقدية في الرواية العربية – إربد – مؤسسة حمادة الجامعية للنشر و التوزيع- 2001 ص:23 – عن أحمد حمد النعيمي – إيقاع الزمن في الرواية العربية ص:81.

69-فخري صالح- أرض الاحتمالات – بيروت- المؤسسة العربية للدراسات و النشر 1988- ص :33 عن أحمد حمد – إيقاع الزمن في الرواية العربية: 82.

70عبد الحميد المحادين- جدلية المكان و الزمان و الإنسان في الرواية الخليجية- بيروت المؤسسة العربية للدراسات و النشر-2001 ص:19-20 عن أحمد أحمد النعيمي- إيقاع الزمن –ص82.

71-حميد لحميداني- بنية النص السردي:63.

72-محمد عزام- شعرية الخطاب السردي:69.

[73]-عبد الملك مرتاض- في نظرية الرواية:199.

[74]-محمد عزام –شعرية الخطاب السردي:69.

75-م.ن:70.

[76]-عبد الملك مرتاض-في نظرية الرواية :197.

77- محمد عزام، شعرية الخطاب السردي:70.

78- م.ن:70.

79- يوسف نجم - فن القصة- دار الثقافة – بيروت ط"5: 1966- ص 109.

80- أحمد طالب- جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية ص :26.

81- م ن.27-28.

82عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية:209.

83- أحمد طالب- جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية –ص-28.

84-حميد لحميدان- بنية النص السردي:70.

85-م.ن:69.

[86]- م.ن:70.

87- حسن بحراوي- بنية الشكل الروائي- المركز الثقافي العربي- بيروت ط:--19901-عن مرشد أحمد المكان و المنظور الفني في روايات عبد الرحمان منيف-دار القلم العربي بحلب-ط1- 1998،ص:105.

[88]- م ن –ص- 105 .

[89]-محمد عزام- شعرية الخطاب السردي:70/69.

[90]- عبد الملك مرتاض- في نظرية الرواية ص:208.

[91]-م.ن:209.

92-أحمد طالب- جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية :28.

93-مرشد أحمد- المكان و المنظور الفني في روايات عبد الرحمان منيف:106.

94-انظر حسن بحراوي – بنية الشكل الروائي:27 عن مرشد أحمد المكان و المنظور الفني :106.

95-ميخائيل باختين- الخطاب الروائي:40 عن مرشد أحمد- المكان و المنظور الفني:117.

96-حميد لحميداني ، بنية النص السردي:67.

97-م.ن:67.